الفصل الرابع
غرناطة ما زال من آثارها وما تبقى

obeikandl.com

obeikandl.com

يرجع الفضل إلى بنى زيرى على أيام ملوك الطـوائف أن قامت غرناطة تزهو كـمديـنة. فقـد نهض الأمـيران حـبـوس (١٠١٩ - ١٠٣٨) وباديس (١٠٣٨ - ١٠٧٣)، بتشـييـد سور منيع يحـيط بالمدينة وما زال باقـيًا داخل المدينة فيـما بين باب البيـرة إلى الباب الجديد وتتخـلله كثير من الأبراج غـير المنتظمة الشكل، أو الكثيرة الأضـلاع أو نصف المستديرة. وفى هذا الجزء من السور يوجـد بابان: باب المنيتـة والباب الجـديد ولتلك الأبواب أقواس مـبنية بالحجارة أو الآجر وتعلوها أعتاب من الآجر وأقواس مدعمة. ولهذه الأبواب مرافق منثنية Bent entrance ولذلك فإنها تعتبر مـن أقدم النماذج المشيدة بهذا الأسلوب فى إسبانيا، وكـان هناك حتى القرن الماضى بوابتان عظيمتان اخـتفتا اليوم، وهـما باب الرملة وباب مـورور. وكان يشـغل قصر بنـى زيرى الجزء العلوى للقصـبة القديمة ولم يبق شىء من هذا القـصر سوى صهريج يـشتمل على أربعـة أقبيـة وبعض أجزاء من الجـدران. ومن آثار غرناطة العـتيـقة أو القصبة القديمة الباقية الحمامات العـربية وتعرف باسم الحمام الصغير وهو فعلاً حمـام صغيـر ولكنه كامل الصـحن للاستراحـة وخلع الملابس، وفى وسطه مغطس، ثـم غرفة الماء البـارد، وبهو الماء السـاخن تحت عقـود صغـيرة، ثم المستوقد حيث يسخن الماء ثم يجرى فى أنابيب إلى الغرفة الساخنة.

وقد عثر فى غرناطة على مخلفات قلائل من أعمال الزخارف بالإضافة إلى بعض تيجـان العمد. وهناك فى معـهد «فلنسيادون خـوان» فى مدريد ما

يشبه صينية التوابل وهى عبارة عن قطعة من الرخام المنحوت قسمت إلى عدة أقسام ونقشت عليها بعض الكتابات الكوفية.

آثار العصر المرابطى والموحدى:

لم يطرأ تغيـر كثير على غـرناطة فى أيام هاتين الأسرتين الأفريقـيتين، ومن الممكن القول بأن الحصـون القائمة إلى غرب الحمـراء والتى تعرف اليوم باسم أبراج البرميخا (Bermejas) ترجع إلى القرن الحادى عشر. ويشاهد فى المتحف الأثرى بمدريد بعض القطع الخـشبية والجصيـة التى تنسب إلى العصر المرابطى وقد صنعت ببراعة ودقة فائقـة، والأثر الوحيد الباقى فى غرناطة من عصرهم هو قصر صغير فى أقصى غرب غرناطة يعرف اليوم بقصر نهر شنيل وقد تكلمنا عنه.

آثار بنى نصر:

خير الآثار هى التى تنسب إلى أيام بنى الأحمر. ولنبدأ بغرناطة نفسها. فقد امـتدت أسوارها بعد مـا طرأ عليها من الاتساع فى أيام بنـى نصر خارج حى البيازين. ويلاحظ أنه فـى نهاية القرن الثالث عشـر وخلال القرن الرابع عشر ازدهرت حركة التـعمير والبناء وظهرت فيها أروع العـمائر التى اشتملت على أجمل ما عرف فى الأندلس من النقوش والزخارف. وفى القرن الخامس عشر ندرت إقامـة أمثال تلك العمائر النبـيلة. ومما يؤسف له أن معظم المبانى الدينية فى غرناطة افتقدت بعد أن خربها النصارى بعد حركة الاستعادة.

حى البيازين:

يتركز أهم ما بقى من آثار غرناطة الإسلامية (بعد الحمراء وقصبتها) فى حى البيازين وهو ما يزال إلى اليوم من أكبر أحياء غرناطة. وقد احتفظ بطابعه الأندلسى. ويقع هذا الحى فى شمال شرقى غرناطة تجاه هضبة الحمراء. ويفصله عنها نهر حدرة، ويمتد على سفح التلال حتى أسوار غرناطة القديمة. وفى حى البيازين ثلاثة من أبواب غرناطة الإسلامية تحتفظ بعقودها العربية. وهى باب البيازين، وباب فحص اللوز، وباب الزيادة. ويقع الباب الأخير فى ميدان أو رحبة باب الزيادة.

وهناك بقية من أسوار المسجد الجامع وعدة من بوائكه وجزء من صحفه. وشيدت على أنقاض مسجد المرابطين كنيسة سان خوسيه. وما زالت مئذنة المسجد القديم قائمة وقد حولت إلى برج لأجراس الكنيسة.

وما زالت كنيسة سان خوان دى لوس ريس تحتفظ بمئذنة مسجد آخر (القرن ٧/ ١٣م) بعد إضافة برج الأجراس إليها.

وميدان باب الرملة – القيسرية التى كانت سوق غرناطة الكبير. ومازالت تحتفظ بدروبها الضيقة. ولما أحرقت القيسرية الأندلسية فى عام ١٨٣٤م أعيد تخطيط بنائها على نفس نظامها القديم. وما زالت القيسرية تحتفظ ببابين قديمين.

مدرسة غرناطة القديمة:

أنشأها السلطان يوسف أبو الحجاج (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م). وتقع اليوم فى درب ضيق وقد أزيل بناؤها الأصلى من القرن الثامن عشر، ولم يبق من

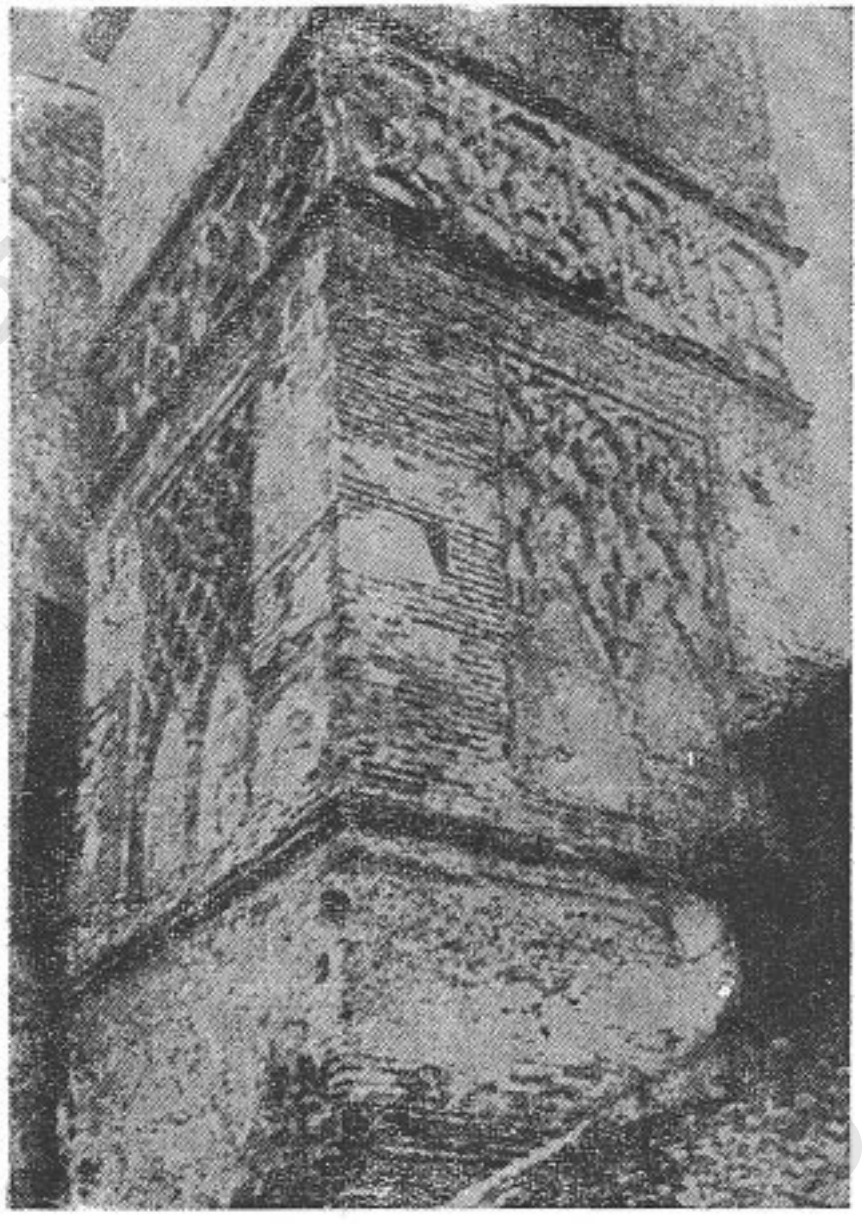

احدى المآذن وهى اليوم برج اجراس
كنيسة خوان دى لوس ريس

المبنى القديم سوى الجزء الذى يحتوى على المحراب (بيت الصلاة). أما النقوش العربية فقد نقلت إلى متحف آثار غرناطة وإلى متاحف أخرى. ويوجد فى خارج غرناطة القديمة دير سان سبستيان الصغير ويشتمل على مصلى صغير شيد فى القرن الخامس عشر، وربما كان هذا المحراب لضريح، وهو مربع الشكل تعلوه قبة ذات ستة عشر ضلعا.

ولم يبق من حمامات غرناطة القديمة العامة سوى حمام واحد، يقع اليوم فى شارع «كاليه ريال» وينسب طراز هذا الحمام إلى الطراز القديم، فهو يشتمل على ثلاث غرف مقباة تقوم على محور واحد، يسبقها غرفة لخلع الملابس والراحة.

المارستان والفندق:

أما المستشفى أو الماريستان فقد تخرب، بيد أنه احتفظ بتخطيطه الأصلى. يحف بفنائه الأوسط أروقة لها عقود محدبة فى الطابق الأسفل، وكان يقوم حيث تنهض اليوم كنيسة القديس لازار. وكان موضع باب المارستان معروفًا إلى حين قريب باسم «بينفاماسداد».

وأكمل مبنى باق إلى اليوم فى السهل هو الفندق الجديد وهو واحد من عشرات الفنادق التى قامت فى غرناطة ويعرف اليوم باسم خزن الفحم El Corral del Carbon لأنه استخدم فى وقت ما مخزنًا للفحم، وقبل ذلك استخدم مسرحًا وديرًا. ولهذه الدار فناء تحيط به البوائك ذات الطابقين. وتشبه عمارة هذا الفندق ما نراه فى الفنادق المرينية فى فاس. وللفندق مدخل رائع له بوابة ضخمة وكانت تعلوه النقوش فى زمانه القديم.

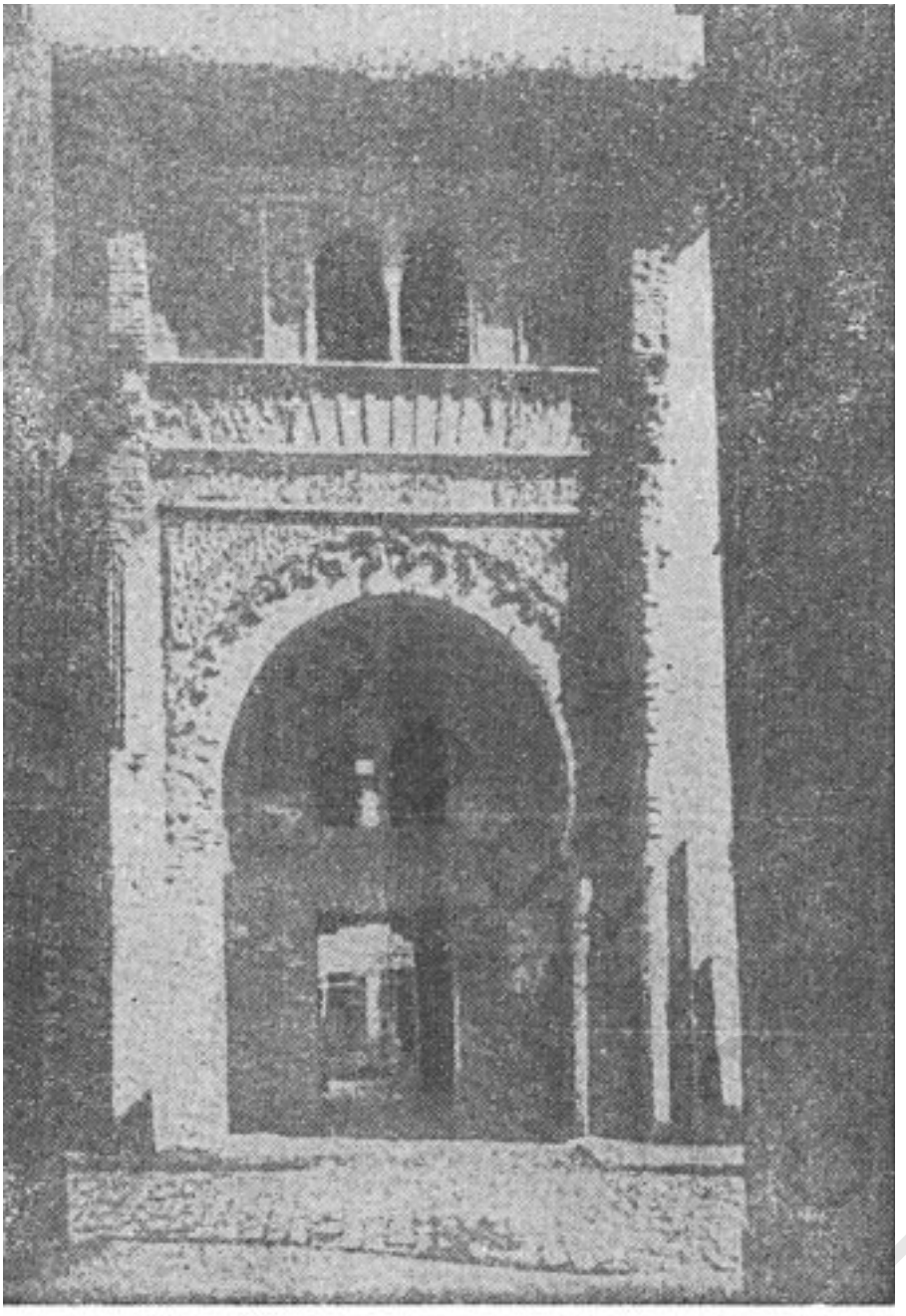

بوابة فناء الفحم – القرن ١٤ غرناطة

وعلى المصعد المؤدى إلى تل البياسين تقف الدار المعروفة باسم دار الحرة، وكانت إلى عهد قريب تعرف بدير القديسة إيسابيلا الملكى، ثم أخلوه ليحتفظوا به أثرًا. وهذه الحرة هى السيدة عائشة زوجة السلطان النصرى أبى الحسن الغالب بالله الذى تولى العرش سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م وكانت أميرة باسلة شديدة الاعتزاز بأبيها السلطان.

عنيت إسبانيا بتلك الآثار فى السنوات الأخيرة وكشفت عن زخارفها وأعادت بعضها إلى ما كانت عليه فى زمانها. ومع ذلك فإن قصر الحمراء يعتبر اليوم من أجمل الآثار الإسلامية ليس فى الأندلس فحسب بل فى العالم الإسلامى كله.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

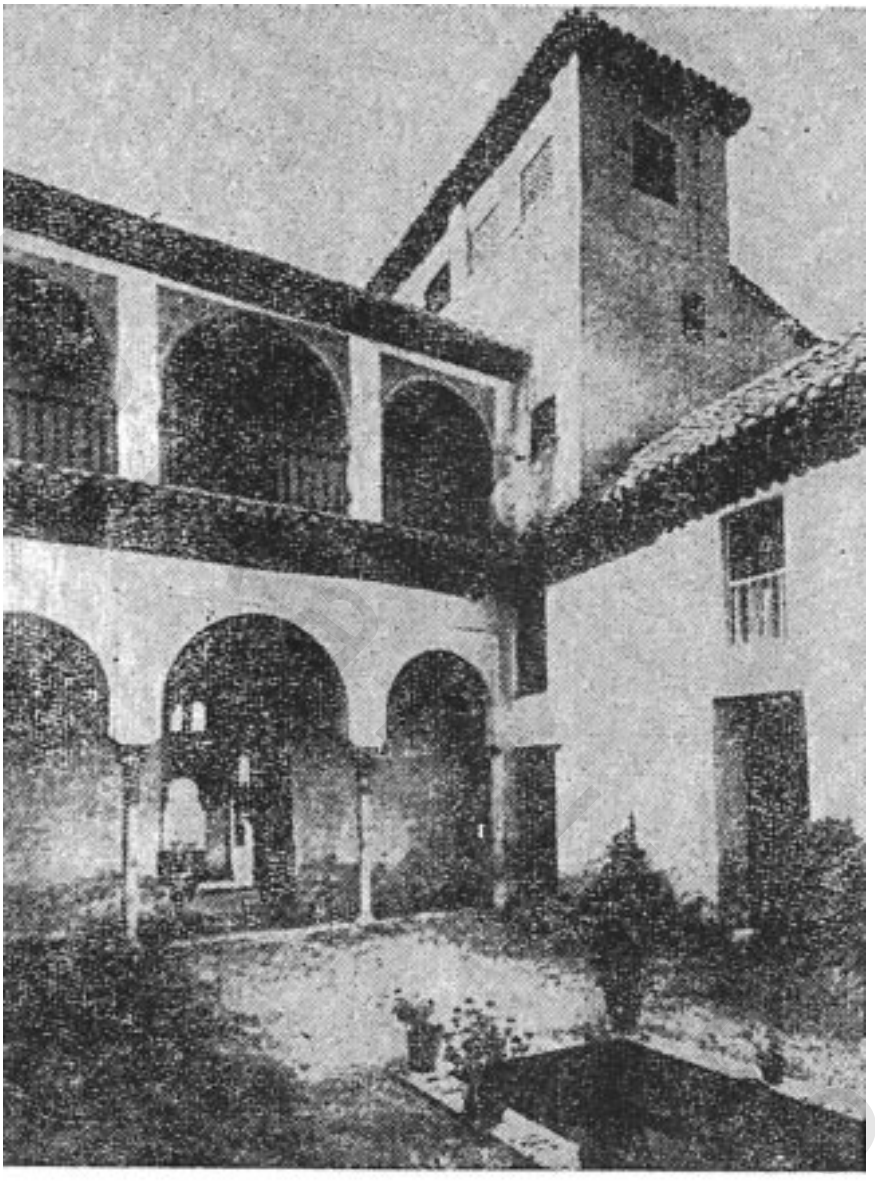

دار الحرة فى غرناطة بناها
السلطان أبو الحسن بن نصر والد أبى عبد الله